أولاً : العوامل التى أدت إلى زيادة حجم السياحة الروسية المغادرة :

د/ عدلى انيس

كلية الاداب جامعة القاهرة

١ - سقوط الاتحاد السوفيتى :

لقد أدى انهيار الاتحاد السوفيتى فى عام 1991 إلى تحرير الطلب الكامن والضخم للسفر إلى دول أجنبية، ولكن هذا لا يعنى أن الروس لم يمارسوا السفر للخارج قبل تفكك الاتحاد السوفيتى، بل كان هناك رحلات دولية إلى الدول الشيوعية سواء على البحر الأسود أو إلى وجهات سياحية أخرى مثل الهند وفيتنام، ولكنهم مثل الأوربيين الشرقيين كانوا يطوقون إلى زيارة باريس وروما ولندن ونيويورك (Hilton World Wide, 2012, p3) . وبعد عام 1991 وسقوط الشيوعية لم يقتصر ازدهار السياحة الروسية على حجم السياحة المغادرة فحسب، ولكن أيضًا ازدهرت السياحة الوافدة إليها، فقد فُتحت أبواب روسيا على العالم الخارجى وأصبح بمقدور الروس لأول مرة السفر إلى دول ديمقراطية (Abreu, 2009, p7).

ولعل ازدهار السياحة فى روسيا بعد سقوط الاتحاد السوفيتى راجع أيضًا لعدد من العوامل منها: سقوط الستار الحديدى، وإلغاء احتكار الدولة على أنواع معينة من الأنشطة التجارية، وخصخصة الشركات الحكومية المحلية، وتحرير الأسعار، ورعاية الدولة لأوضاع الشركات الأجنبية العاملة فى روسيا (Furmanov et al, 2012, p1)؛ ومن ثم نمت السياحة الروسية بسرعة كبيرة مدفوعة باقتصاد قوى لتصبح روسيا واحدة من أكبر الأسواق المصدرة للسائحين فى العالم؛ إذ سجلت السياحة المغادرة أكثر من 40مليون سائح (Hilton World Wide, 2012, p3) كما ارتفع عدد السائحين الروس ولياليهم السياحية وإنفاقهم فى تقارير كل الوجهات السياحية التى تستقبلهم (Cahill et al, 2011, p31)

٢ -العامل الديموجرافى :

بلغ عدد سكان روسيا 142.9 مليون نسمة فى تعداد عام 2010 (Russia in Figures,2012, p30) إذ انخفض عدد السكان عن عام 1995 (الذى بلغ 148.5 مليون نسمة) بحوالى 6 مليون نسمة، ووفقًا لبيانات هيئة الإحصاءات الحكومية الروسية (Rosstat) بلغ عدد السكان فى روسيا 141.8 مليون نسمة فى عام 2011، وقد شهدا العامين الأخيرين 2010، 2011 استقرارًا فى أعداد السكان، كما ارتفعت معدلات نمو السكان بعدما كانت تتجه نحو الانخفاض (World Population, 2012)

ولعل انخفاض أعداد السكان فى عام 2010 عنه فى عام 1995، راجع إلى وجود هجرات إلى خارج روسيا. إذ يعيش مهاجرون روس فى كثير من دول العالم منها الولايات المتحدة الأمريكية (850000 نسمة)، وفى اوربا الغربية (200000 نسمة) وحوالى مليون نسمة فى اسرائيل (Etc, 2010, p3)، ووفقًا للبيانات الرسمية فقد بلغ عدد المهاجرين الروس إلى الخارج حوالى(233000) فى عام 1997 وأخذ هذا العدد فى الانخفاض من عام إلى عام ليصبح (47000) فى عام 2007، و(36477) فى عام 2011 (Russia in Figures,2012, p94)

وبلغت كثافة السكان 8 نسمة / م2، وترتفع نسبة سكان الحضر عن 70% إذ يوجد بها إحدى عشر مدينة مليونية أكبرها موسكو العاصمة والتى يقطنها حوالى 10 مليون نسمة، وتعد موسكو المقر الرئاسى والمركز السياسى والاقتصادى لروسيا، تليها سان بطرسبرج ويقطنها 5% من السكان. ويتركز 53% من سكان روسيا فى الفئة العمرية (25–59 عام) فى حين تمثل الفئة العمرية (0–24عام) 29% من جملة السكان، وتمثل الفئة العمرية أكثر من (60عامًا) حوالى 18%، وتنخفض نسبتا الفئتين العليا والدنيا عن المعدل العالمى، فى حين ترتفع نسبة الفئة الوسطى عن المعدل العالمى بحوالى 20% (Etc, 2010, pp2,3; Abrea, 2009, p7)، وتشير العديد من الدراسات إلى أن الفئة العمرية الأكثر سفرًا للخارج هى الفئة 25–54 عامًا والتى يبلغ عددها الأن ما يزيد على 63 مليون نسمة (Abreu, 2009, p9) .

ولعل الانخفاض التدريجى لمعدلات الهجرة الخارجية راجع إلى تحسن الاقتصاد الروسى، كما أن ارتفاع نسبة سكان الحضر تشير إلى وجود طلب كامن لا يُستهان به حيث إن سكان الحضر يميلون أكثر من سكان الريف إلى القيام بالرحلات السياحية ولعل ذلك مرجعه ضغوط الحياة الحضرية وارتفاع مستويات الدخل والتعليم.

وتتميز روسيا بالتنوع الديني حيث يدين 60% من السكان بالديانة المسيحية الارثوذكسية، ويدين حوالى من 10% : 15% بالإسلام ويتركز معظمهم فى شمال القوقاز ومنطقة الفولجا والأورال (Etc, 2010, p3). ولعله من المهم الإشارة إلى أن انتشار الديانتان المسيحية الارثوذوكسية والديانة الإسلامية – حيث يمثلان معا ما يقرب من 75% من السكان– يعنى إمكانية التخطيط لرحلات سياحية دينية أو على الأقل تضمين البرامج السياحية زيارة بعض الأماكن الدينية، ولعل وجود مزارات فريدة للديانتين الإسلامية والمسيحية الارثوذوكسية [1] يمكن أن يساعد على نجاح هذه الفكرة. ويقترح الباحث فى هذا الصدد أن يتم ترتيب زيارات إلى القاهرة

[1] حيث ينتمى معظم المسيحيين فى مصر إلى الطائفة الأرثوذوكسية.

الفاطمية، والأزهر الشريف، والمساجد الشهيرة ومنها مسجد السيدة زينب، ومسجد الحسين ؛ خاصة وأن هذهالأماكن تجاور أماكن سياحية أخرى شهيرة منها القلعة أو سوق خان الخليلي. وكذلك يمكن أن تتضمن الرحلة زيارات للكاتدرائية المرقسية بالعباسية التى يوجد بها المقر البابوى لبابا المسيحيين الأرثوذوكس على مستوى العالم، وإلى أهم وأقدم الأديرة فى مصر والعالم وهما ديرا الأنبا أنطونيوس، والأنبا بولا بمحافظة البحر الأحمر، بالإضافة إلى الأديرة والكنائس التاريخية التى أُقيمت وارتبطت فى نشأتها برحلة العائلة المقدسة إلى مصر.

٣ -تحسن الاقتصاد الروسى :

شهدت روسيا تغييرات كبيرة منذ انهيار الاتحاد السوفيتى، والانتقال من العزلة عن العالم، ومن اقتصاد مخطط مركزيًا إلى اقتصاد السوق، والاندماج فى الاقتصاد العالمى. وقد خصخصت الإصلاحات الاقتصادية فى التسعينيات معظم القطاع الصناعى مع استثناءات في قطاعات الطاقة والقطاعات المتعلقة بالدفاع. وفي عام 2011 أصبحت روسيا أكبر منتج للنفط في العالم متجاوزة بذلك المملكة العربية السعودية، وتعد روسيا ثاني أكبر منتج للغاز الطبيعي؛ وتمتلك أكبر احتياطيات في العالم من الغاز الطبيعي، وثاني أكبر احتياطيات للفحم، وثامن أكبر احتياطيات للنفط الخام. وأكبر دولة مُصدرة للمعادن مثل الصلب والألومنيوم. وتُعد روسيا واحدة من أكبر المنتجين والمستهلكين للطاقة الكهربائية في العالم، وتفوق قدرتها على توليد الطاقة الكهربائية 220 مليون كيلو وات. ولكن اعتماد روسيا على صادرات السلع الأساسية يجعلها عُرضة لدورات الازدهار والكساد التي تنتج عن التقلبات في الأسعار العالمية. (CIA,World Factbook,2012; EIA,Russia Overview,2012)

وقد بلغ متوسط نمو الاقتصاد الروسى 7٪ في العقد الذي أعقب أزمة عام 1998 المالية الروسية؛ مما أدى إلى مضاعفة الدخل الحقيقي المتاح وظهور طبقة وسطى. ومع ذلك كان الاقتصاد الروسى من أكثر اقتصادات العالم تأثرًا بالأزمة المالية العالمية 2008–2009، ووصل التدهور الاقتصادي إلى أدنى مستوياته في منتصف عام 2009 ولكن بدأ الاقتصاد في النمو مرة أخرى خلال الربع الثالث من عام 2009. وبسبب أسعار النفط المرتفعة ؛ ارتفعت معدلات نمو الاقتصاد الروسي في 2011–2012، مما ساعد روسيا على تخفيض العجز في الميزانية الناتج عن أزمة 2008–2009. وقد خفضت روسيا البطالة إلى مستوى قياسي كما خفضت معدلات التضخم (CIA,World Factbook,2012) وقد بلغ معدل البطالة فى عام 2009 (7.6%) وأخذ فى الانخفاض بمعدل 1% سنويًا (Ect, 2010, pp3-4; Cahill et al, 2011, p17) .

انضمت روسيا إلى منظمة التجارة العالمية في عام 2012، الأمر الذي سيقلل من الحواجز التجارية في روسيا أمام السلع والخدمات الأجنبية، وسيجعل الأسواق الخارجية مفتوحة أمام السلع والخدمات الروسية.(CIA,World Factbook,2012,WTO,2012)

وفي الوقت نفسه، سعت روسيا لتعزيز العلاقات الاقتصادية مع الدول التى كانت تقع ضمن الاتحاد السوفيتى السابق من خلال الاتحاد الجمركي مع روسيا البيضاء وكازاخستان، و في السنوات القليلة القادمة، من المتوقع ان تقود روسيا كتلة اقتصادية جديدة تسمى الاتحاد الأوراسي الاقتصادي. وفى الماضى كان من الصعب على روسيا جذب الاستثمار المباشر من الخارج ولكنها شهدت في السنوات القليلة الماضية تدفقات كبيرة لرؤس الأموال بسبب السياسات الحكومية، مما أدى إلى تحسين موقف المناخ الاستثمارى فى روسيا فى التصنيفات الدولية . (CIA,World Factbook,2012)